

ندوة "القدس، البوصلة ومحك الحضارة"

المحور الأول: فلسطين بين الحضارات

أين فلسطين من الصراع المرتبط بحضارتنا الإسلامية؟ هناك هدفان رئيسيان من هذا المحور: أولاً التأكيد على حتمية زوال الحضارة الغربية كما يرى الإمام الخامني (دام ظله)، بأن زوال الحضارة قد بدأ لكنه أمر تدريجي وليس دفعي، كلمة الإمام الخامني: زوال الحضارات كظهورها أمر تدريجي، وليس بالأمر الدفعي والفوري. ثانياً: هل يمكن للصين أن يكون بديلاً؟ وهل يمكن التعويل عليه؟ لماذا؟

كلام الإمام الخامني: إنّ الإنحرافات هي السبب في اضمحلال الحضارات؛ فعندما تبلغ الحضارات ذروتها فإنها تقول للانحطاط جراً نقاط الضعف والفراغات والإنحرافات؛ وهو ما نشاهده اليوم في الحضارة الغربية التي تقوم على علم بلا أخلاق، وماديات بلا معنويات ولا دين، وسلطة بلا عدالة. ففي فلسطين المحتلة، وحيث يمنعون الفلسطينيين من العيش في بلادهم أو الحياة بيسر وكرامة في وطنهم، وعندما يضطر أحد المواطنين الفلسطينيين للقيام بحركة أو إلحاق ضرر بأحد الصهاينة الأجانب الغرباء الغاصبين، فإنهم يعبّون كل وسائلهم الإعلامية في الغرب من أجل إبراز هذا الحدث! ولو حدث أن قُتل أحد الصهاينة فإنهم ينشرون صورة أبيه وأمه وابنه وأخته، ويعبرون عن بكائهم وحزهم في المجلات الأمريكية وسواها من الصحف العالمية! ولكن عندما يُقتل صبي أو شاب فلسطيني وهو في أحضان والده وعلى مرأى منه في فلسطين، وعندما يطلقون الرصاص على النساء والرجال والأطفال والمسلمين والمصلين في المسجد الأقصى، فإن الأمر لا يقابل إلا بالصمت أو التعقيم!

إن ظهور الحضارات أو أفولها لا يأتي طفرة، بل إنه أمر تدريجي وتاريخي. كذلك هناك من يعتقد أن فلسطين ليست عن هذه القاعدة باستثناء، بل إن زوال الاحتلال الإسرائيلي كظهوره، أمرٌ تدريجي وليس بالأمر الدفعي الفوري، وهذا الزوال آخذ بالحدوث، وتحرير فلسطين هو مقدّمة لازمة لبناء الحضارة الإسلامية الجديدة.

ما هي آثار أفول الحضارة الغربية على القضية الفلسطينية؟ اليوم وفي ظل الحديث عن نظام عالمي جديد هل يمكن للتين الصيني أن يكون بديلاً؟ ما تأثيراته على القضية الفلسطينية؟

ملخص كلمة الدكتور فوزي العلوي/ تونس

- فلسطين ستكون بداية النهاية للحضارة الغربية. الحضارة الغربية هي حضارة مادية دهرية. هناك مرجعيتان للحضارة الغربية؛ الأولى دينية متمثلة باليهودية والمسيحية، والثانية فلسفية متمثلة بالفلسفة اليونانية. هاتان الدعامتان الأساسيتان التي اعتمدت عليهما الثقافة الغربية. والمادية هي الأمر المشترك بين هاتين الدعامتين.
- الثقافة الغربية تأسست على أسس مادية.
- الأصل الديني لهذه الحضارة هو أصل مادي، ونظرته إلى الله نظريه تنزيهية. والفهم الديني والمسيحي واليهودي لا يخرج عن دائرة العالم.
- الحضارة الغربية المادية هي حضارة ملقفة غير واضحة المعالم وعرجاء، وتعتمد على التلفيق حتى على المستوى المعرفي. تتفوق على بقية الحضارات بلعبة الإخفاء والتضليل.
- على مستوى التجليات تعتمد سياسة السيد والعبد، وترفض الآخر. هي تعتبر نفسها مركزاً والآخر ملحق بها لا يتمتع بأصالة الوجود. لا تعتبر الآخر إنساناً سوى ما هو يهودي أو مسيحي أو ما ظهر مؤخراً مسيحي-يهودي.
- القضية الفلسطينية هي امتداد لحركة الاستعمار، ونحن نعيش عدواناً مستمراً منذ القرون الوسطى إلى اليوم يتمثل في غزوة تستهدف كافة الأبعاد الروحية والمعنوية والثقافية.
- الوجهين الليبرالي والماركسي متورطان فيما يحصل، وبالتالي لا يمكن أن نبرء الشرق الغربي والغرب الغربي عما يحصل.
- الكيان الإسرائيلي يقوم بأدوار وظيفية مباشرة لتصفية الحساب الطويل مع حضارتنا بدعم الاستكبار العالمي.
- سنن التاريخ والحقائق التاريخية تشير إلى أن هذه الغدة السرطانية تتجه نحو الزوال.
- تستند حضارتنا الإسلامية بقيادة السيد الخامنئي إلى قاعدة العدل، في حين أن الحضارة الغربية استندت إلى الحرية التي لا يمكن أن تؤدي إلا إلى العثبية.
- عندما كنت شاباً في الجامعة التونسية، عندما كنا نحاور الطلبة كحركة اتجاه اسلامي أي تنظيم الإخوان، ونحاور الطلبة الماركسيين والقوميين والبعثيين، كنا لا نقدر أن نحاربهم ضمن الآفاق الاقتصادية والاجتماعية والفلسفية، لماذا؟ لأن الفضاء المعرفي للإسلام الرسمي هو فضاء فقهي تقليدي ولا يمكن أن يقدم أجوبة اقتصادية واجتماعية، لأنه منحور بالعلمانية منذ لحظة "دعوه إنه يهجر".

- حركة النهضة في بدايتها وعندما كان اسمها الاتجاه التونسي كانت تقرأ كتب الشهيد الصدر حتى تفهم المعادلة الاقتصادية والاجتماعية، وكنا (حركة النهضة) نفتقد إلى الخلفية المنطقية والخلفية الاستقرائية وهذه هي التي منحتنا القوة على مناقشة وإفحام الخصوم الماركسيين وغيرهم.
- كما قال راشد الغنوشي عن الإمام الخميني "عمامة ليست كالعمامات"، ونحن نقول السيد القائد "عمامة ليست كالعمامات"، نحن نفتخر بهذه المرجعية الحضارية، لأنها قدمت حلولاً عملية.

المحور الثاني: القدس البوصلة

الهدف من هذا المحور: الهدف من المحور الأول إعادة صياغة مفهوم الصراع وجوهره، وأن القضية ليست قضية فلسطين فحسب، بل قضية العالم الإسلامي، لا بل قضية الانسانية، مسألة القدس هي مسألة انسانية فطرية بالدرجة الأولى. هناك من يحاول أن يقدم الصراع على أنه فلسطيني إسرائيلي أو عربي إسرائيلي، بينما في الحقيقة هو أبعد من ذلك، هو صراع إنساني فطري بين الحق والباطل.

في العام ١٩٠٧، أكدت إنجلترا على مصلحتها في قيام دولة يهودية على لسان رئيس وزرائها كامبل بانربر الذي قال: من المهم إقامة جسم غريب على الجسر الذي يربط البحر الأبيض بالبحر الأحمر. يتعين علينا أن نضع في تلك المنطقة المحاذية لقناة السويس قوة معادية للبلد وصديقة للدول الأوروبية. هذا الجسم مدعوم غريباً، وضمان بقاءه أن يبقى ما حوله ضعيفاً. أيضاً يعتقد الأوروبيين أن اليهود أقرب لهم من المسلمين، وبالتالي الدولة اليهودية أفضل لهم.

يقول الإمام الخامنئي: يوم القدس ليس يوم فلسطين فحسب، بل يوم الأمة الإسلامية. وفي كلمة ثانية يقول: في زمن يكثر فيه المطبوعون، وأولئك الذين يقدمون الصراع على أنه فلسطيني-إسرائيلي لا أكثر، قد يختلط الحق بالباطل، فيحسن القبيح ويقبح الحسن، لذلك لا بدّ من إعادة تعريف الصراع مجدداً ووضعه في إطاره الصحيح.

أولاً يبدو أن حقيقة الصراع ترتبط بشكل وثيق بما أسماه الإمام الخميني المستكبرين والمستضعفين من جهة، وبنفس العالم الإسلامي من جهة أخرى، أي المحمّديين كما كان يسمينا تشرشل وسموئيل. الإمام الخامنئي (دام ظله): إن الكيان الإسرائيلي في المنطقة هو قائم مقام الإستكبار العالمي. فما هي حقيقة هذا الصراع؟

ملخص كلمة الدكتور علي بيضون لبنان:

- القدس وفلسطين جزء من صراع الحق مع الباطل، من أجل أن يكون الإنسان خليفة الله كما يريد.
- هذا الصراع بدأ من خلل في المعادلة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة. والصراع يهدف لإنهاء الطرف الآخر، وهو مختلف عن النزاع، ولا يمكن أن يسمى نزاعاً قانونياً، والصراع هو خلاف على أساس وجود الطرف الآخر.
- إسرائيل زرعت في المنطقة كغدة سرطانية ولها أهداف، وأداة لتطويع دول المنطقة.
- الصراع بدأ ينتقل إلى العرب من مرحلة إلى مرحلة. في العام ١٩٤٨ لم يتقبل العرب والمسلمون الكيان الإسرائيلي في الخاصرة العربية.
- زرع الغرب الكيان الصهيوني على قاعدة دينية تلمودية تتعارض مع الحضارة الغربية وإدعاءات الديمقراطية، لا سيّما أنّها ترفع شعار العلمانية وفصل الدين عن الدولة عنها.
- الأطماع الغربية في الشرق الأوسط لها أبعاد اقتصادية ودينية واستراتيجية بما يرتبط بالجغرافيا والتحكم والسيطرة على هذا المنطقة التي كانت مهد الديانات.
- الصراع كان عربياً إسرائيلياً، لاحقاً أصبح إسلامياً إسرائيلياً وحالياً بات عالمياً، أي انسانيّاً إسرائيلياً.

المحور الثالث: القدس محور الصراع: الواقع والخيارات

الهدف من المحور: إظهار نتائج المسارين التفاوضي ومسار المقاومة، إمكانية تحرير فلسطين لا بل إن التحرير قد بدأ فعلياً منذ العام ٢٠٠٠ في لبنان، و٢٠٠٥ في غزة. الإحتلال كان تدريجياً، وليس دفعياً، والتحرير سيكون كذلك.

بعد صياغة حقيقة الصراع وجوهره، ما هي الخيارات المتاحة؟

يقول الإمام الخامنئي: يوم القدس هو أحد التجليات الحقيقية للوحدة والانسجام في العالم الإسلامي. وفي كلمة أخرى يقول: إن قضية فلسطين هي قضيتنا، قضية المسلمين والعالم الإسلامي، وندعوا الله أن نؤدي واجبنا. فما هو الواجب؟ نحن اليوم أمام واقع دولي يعترف بالكيان الإسرائيلي ويسعى لفرض الإملاءات الأمريكية على منطقتنا. فهل علينا التسليم بهذا الأمر؟ أم أنه ستتكرر قضية العديد من دول الاتحاد السوفياتي وغيرها التي بقيت حوالي ٨٠ سنة، لكن هذه السنوات الثمانون لم تمح حقيقتها وتقضي على هويتها وبالفعل نجحت في استعادة استقلالها. ما هي الحلول الممكنة؟ المسار التفاوضي، المقاومة أم ماذا؟ لم يبدأ المسار التفاوضي مؤخراً بل منذ أيام الاحتلال البريطاني حيث حاول البعض منذ أيام الانتداب أن يجمع الصيف والشتاء تحت سقف واحد أي إرضاء بريطانيا ووقف المشروع الصهيوني، تماماً كما يفعل اليوم البعض في محاولتهم إرضاء أمريكا ووقف المشروع الصهيوني. ما هي حصيلة هذا النهج خلال ما يقارب على ١٠٠ عام؟ ماذا عن نهج المقاومة؟ ماذا عن الطرح الذي قدمته الجمهورية الإسلامية الإيرانية وهو "الاستفتاء"، ولكن "مقاومة حتى الاستفتاء" حيث ترى الجمهورية الإسلامية أنه يحق للشعب الفلسطيني مثل كافة شعوب العالم أن يقرّ مصيره بنفسه، هذا الشعب بمسليمه ومسيحييه ويهوده. يقول الإمام الخامنئي: نحن لسنا مثل بعض القادة العرب الذين قالوا أنهم سيرمون اليهود في البحر، نحن ندعوا للمواجهة الشاملة، السياسية والعسكرية والأخلاقية والثقافية. يجب أن يكون هناك استفتاء يشارك فيه كافة الفلسطينيين، في الداخل والخارج، سواء المسلمين أو المسيحيين أو اليهود، لا فرق. كل أولئك الذين هم أهل فلسطين وكانوا هناك قبل العام ١٩٤٨. بعد هذا الاستفتاء يقرر النظام الجديد المنتخب من الشعب الفلسطيني مصير الفلسطينيين في الخارج والإسرائيليين الوافدين من دول العالم. إذاً هذا طرح آخر: ما هي فرص نجاحه؟ ماذا عن التفاوض وماذا عن المقاومة؟

- لماذا قال الإمام الخميني في كلمته الشهيرة اليوم إيران وغدا فلسطين؟
- لا شك أن التأمل بهذا الأمر يقودنا إلى نقطة مركزية هو أهمية تحرير فلسطين.
- إن تحرير فلسطين سيكون المحور نحو العبور للعالمية وتقديم الأطروحة الإسلامية.
- خصوصية فلسطين أن كل أبعاد الحضارة المرتبطة بالجبهة الأخرى مندكة فيها.
- الكيان الصهيوني يستمد المشروعية من القوة المادية، أي القوة تعطي الشرعية التي تعطي الحق، وهذا المنطق بخلاف منطق الأنبياء. الحق في منطق الأنبياء لا يعتمد على القوة المادية.
- الفكرية الدينية في الأطروحة الفلسفية في الفكر الصهيوني هي فكرة وظائفية، ولكن في الأطروحة الإسلامية هي أطروحة غائية، وبالتالي هي أوسع من أيديولوجيا.
- نحن عندما ننظر إلى الكيان الإسرائيلي نراه كمصداق أنتجته الفلسفة الغربية والقوى الاستكبارية والحضارة الغربية.
- اذا خسرت "إسرائيل" شرعيتها ستكون الحضارة الغربية أمام أسئلة كبيرة. "إسرائيل ليست أداة لدى الغرب، بل ولدت من رحم الغرب، هي من حرم المنظومة الثقافية والحضارية الغربية.
- فلسطين هي قضية تهدف لاستعادة الإرادة والحضور ليس فقط للأمة بل للإنسانية. نحن نريد تحرير الانسان من مدخل قضية فلسطين.
- أطروحة الاستفتاء للسيد القائد تؤكد طبيعتنا الحضارية، وانكشاف الطبيعة الحضارية للطرف الآخر. أمريكا لم تقبل بيوم من الأيام بنتيجة الانتخابات إذا لم تكن في صالحها. القائد يحاجج الأطروحة الغربية من خلال هذا الطرح.
- نحن نريد حلاً ونريد أن نقلل من الخسائر والدماء لجميع البشر، فلا عداً لنا مع قوم أو شريعة. نريد إنقاذ الجميع.
- اذاً، إذا كان الطريق هو رأي الناس فلنسلكه. الإمام الخميني يريد أن يكشف جوهر الحضارة الغربية التي تدعي الديمقراطية ورأي الناس، ويظهر أنّها وهم وتضليل العقول. وهذا يؤكد صدق ما ندّعيه، ولسنا هواة قتال ونحترم إرادة الناس.

- لماذا دخلت أمريكا بشكل مباشر؟ لو كانت "إسرائيل" قادرة على لعب الدور الإقليمي وحماية مصالح الدول الاستكبارية بمفردها كما كانت منذ عقود، لماذا جاءت أمريكا إلى الساحة لتواجه محور المقاومة مباشرةً. هذا مؤشر على أن البيئة الاستراتيجية بأكملها قد تغيّرت، وهذا يعني أن مسار "إسرائيل" تنازلي إنحفاضي.